د. عبد الله ابراهيم ونقد المركزيات الثقافية:

تنبغي اعادة الاعتبار للمرويات النثرية في الثقافة العربية

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر:

الدكتور عبد الله ابراهيم ناقد وباحث أكاديمي من العراق، لم يتقوقع في اطار النصوص الأدبية التي اشتغل عليها، بل خرج منها الى فضاء الثقافة العربية في نقده للمركزيات الثقافية الغربية والاسلامية على السواء، وربما يكون من أوائل الذين أعادوا الاعتبار للسرديات النثرية في مقابل الشعر العربي، أو ما يُسميه المرويات في الثقافة العربية.

له أكثر من خمسة عشر كتابا في النقد العربي، وفي الثقافة النقدية، وضعفها أو أكثر من الأبحاث الفكرية التي أهلته للحصول على جائزة «شومان» للعلوم الانسانية عام 1997، وقد التقته «القدس العربي» على هامش مشاركته في مهرجان العجيلي الثاني للرواية العربية في الرقة، وسألته:

■ أين تكمن جذور نقد المركزيات الثقافية؟

■ أعتقد أن الدكتور سمير أمين من أهم المفكرين في العالم الذين اشتغلوا على فكرة المركز والهامش، وكتابه عن «المركزية الأوروبية» يُعتبر من أهم المساهمات النقدية التي أسست مع سواها لاتجاه في التفكير النقدي.

كذلك الصديق طارق علي، وهو آخر اليساريين الكبار في العالم كما تعلم، يقول أنه لا صدام بين الحضارات بل الصدام بين الأصوليات، فالحضارات تتكامل وتتفاعل، لكن كل حضارة تولد بداخلها نزعة أصولية، وهذه النزعات الأصولية التي تفرزها الحضارات هي التي تتصادم فيما بينها. وفي كتابه «صراع الأصوليات» نقرأ أهم وأعمق نقد وجه لأطروحة «هنتنغتون» القائلة بصراع الحضارات.

وعموما فان أغلب الشغل الذي يتم فيما يصطلح عليه بالمركزيات الثقافية المتنازعة في العالم، أسهم فيه عدد من المفكرين، وبخاصة الذين عاشوا التجربة الاستعمارية كطارق علي وسمير أمين وادوارد سعيد وآخرين، وهؤلاء أخذوا بالحسبان الخلفية الاستعمارية لبلادهم، وهم يندرجون الآن في أفكار وحقبة ما بعد الاستعمار.

■ وما هي الحدود الفاصلة ما بين الانتماء ونقد الأصولية؟

■ لكي نضع الأمور في نصابها ينبغي أن نميز بين التعصب الطبيعي والتعصب الايديولوجي، باعتبار الأول يُعبر عن حالة انتماء لمجتمع، لدين، لشعب... ولا أعتقد أن في ذلك ضررا، فيما يبدأ الانزلاق نحو الخطر حين يتقصد هذا المنتمي أن يُعلي من شأن انتمائه الديني أو الطائفي أو العرقي.. حيث ينتقل الانتماء من درجته الطبيعية الى درجته الهوسية، المرضية، الايديولوجية، الايمانية، فيتم تكريس هذه الحالة الايمائية، والأخذ بايديولوجية مغلقة كائنة ما كانت.

هذه القضية المتوترة في ثقافتنا تحتاج الى مزيد من التفكير والتفكيك والتحليل، اذ كلما ازددنا انغلاقا على الذات ازددنا جهلا بأنفسنا وبغيرنا، ولا يستقيم أمر عالم نتشارك فيه بكل شيء مع وجود هكذا مركزيات، ومع ذلك قد يكون الأكثر ضررا هي المركزية الغربية، وهي ايديولوجية شاعت واستبدت في الغرب منذ القرن السادس عشر، تنطلق من رؤية هذا الغرب بصفته المتفوقة، غرب يمتلك وعودا نبوية لتغيير العالم، وفعلا أعيدت كتابة الثقافة الغربية من «سقراط» و«أرسطو» وصولا الى «هيغل» و«ماركس» على أنه مسار متصل ومتصاعد، فيه استمرارية وتماسك، وعلى أن العالم خارج الحاضنة الغربية هو عالم هش وضعيف ويحتاج الى أن يلتحق بالمحدث الغربي حتى يستطيع أن يتنفس بشكل صحيح.

■ هل يُمكن اعتبار ذلك سببا لاستفزاز المركزيات الأخرى؟

■ المركزيات تتعاقب ويندر أن تتوازى، وقد أوضحت في كتابي «المركزية الاسلامية» كيف يعتقد جميع المسلمين أن الاسلام مركز العالم ومركز الحقائق ومركز الخير... وأنه في دار الاسلام يوجد صلاح البشرية أجمع، بينما خارجها يُعتبر مكانا للضالين والمارقين والبهائم، وبالكاد يُنظر اليهم نظرة انسانية.

هذه المركزية الاسلامية التي تحكمت بالناس قرونا أنتجت توترا كبيرا في علاقة المسلمين بغيرهم، والآن يتكرر هذا النموذج في الحضارة الغربية، حيث افتتح الغرب الحديث العالم بالغزوات والفتوحات بحجة ايصال ثقافة الرجل الأبيض الى أقصى أصقاع العالم، كما كان يعتقد الرجل المسلم أن عليه ايصال الرسالة الاسلامية الى أقصى أطراف الأرض.

هذا النموذج تكراري، يتكرر مع تغير في الدرجة وليس في النوع، وأنا أعتقد في نهاية المطاف أن هذه الايديولوجيات المُغلقة لن تؤدي الى أية نتائج صحيحة لا منطقية ولا عقلية...

■ ما هو مفهوم الهوية على ضوء ذلك؟

■ أنا لا أعترف بوجود هوية ثابتة، بل هي كائن قيد التشكل باستمرار. فالهويات هي مراحل للانتماء الحر للثقافة والتاريخ، وليس من الصواب أن يبحث الانسان عن هوية قاتلة، كما يقول «أمين معلوف».

وعليه أجد أن الهوية أصبحت الآن متعددة الوجوه، وليس من الحكمة الآن الرابط بينها في هوية مغلقة، فالهوية تتشكل على خلفية طبيعية من التطور والاستبعاد والاستئثار، وأنا اعتقد أن العالم يمر الآن بصراع الهويات في العصر الحديث.

■ الى أي درجة تمثلت الرواية العربية، نموذج «موسم الهجرة الى الشمال»، ذلك الصراع بين المركزيات الثقافية أو صراع الهويات؟

■ أنا أقيم وجهة نظري في النقد على فكرة التمثيل السردي، أي أن الآداب السردية تقوم بعمليات تمثيل للمرجعيات الواقعية والتاريخية، ومن الطبيعي أن الأدب والرواية بوصفهما وسائل تمثيل، يُعالجان هذه الظواهر المتوترة في مجتمعنا بما فيها ظاهرة المركزيات.

من هذا المنطلق أجد أن فكرة التمثيل السردي تمنحني قدرة على الربط بين النصوص السردية من جهة وبين مرجعياتها في الحياة الواقعية، ذلك أن الأدب لا يُعد جملة من التخيلات الانشائية التي تنقطع عن مرجعياتها المتعينة، واستمرارا أقول أن وقوع المجتمعات خارج الغرب ضحية التجربة الاستعمارية، شكل حاضنة طبيعية لتوالد ردود الأفعال. يقول «فرانس فانون» بهذا الصدد: أن العنف لا يُشفى الا بالعنف.

والمثل الذي أتيت عليه في رواية الطيب صالح «موسم الهجرة الى الشمال» والبطل مُصطفى سعيد، هو تعبير عن هذه الحالة، وفي هذه الرواية لا يظهر النصف الأول من الحقيقة ـ أي عنف التجربة الاستعمارية في السودان ـ ذلك أنه معروف بداهة، لذلك يبقى خارج المنطقة السردية، فيما يركز الكاتب على العنف المضاد، حيث يظهر البطل الافريقي حاملا جملة من الأفكار بضرورة الانتقام، لكنه كفرد غير قادر على الانتقام العنيف والمؤذي بشكل مباشر من الغرب، لهذا يختار رموزا للانتقام، ويكون الجنس سلاحا للقصاص من الآخر.

لهذا نجد رواية الطيب صالح تقترح أن لا حوار مع الآخر، حتى النساء اللواتي يتماس البطل بنوع من التجارب معهن، ينتهين مُنتحرات، فالرواية تقترح أن العلاقة بين الشرق والغرب قد سممت ولا سبيل لعلاجها، ولا مجال للحوار بين الطرفين.

وهذه تمثل مرحلة أولى ظهرت على خلفية التجربة الاستعمارية وبدايات الاستقلال في أفريقيا والمنطقة العربية، حيث كانت الشعوب تتوهم أنها قادرة على صنع استقلالها بشكل كامل، وقد تبين خطأ هذه النظرة، فالاستقلال ليس محصلة سياسية فقط، بل هو استقلال شامل.

ولذلك نجد الرواية العربية بعد مرور أكثر من نصف قرن على رواية الطيب صالح تقترح نوعا من التفاعل مع الغرب وليس القصاص منه.

■ ما زال البعض يعتبر الرواية العربية أدبا غير أصيل، أدبا بلا نسب أو هوية؟

■ قضية الرواية العربية تتصل بالحديث السابق ما بين المركزيتين أو الحضارتين العربية والغربية، وأنت تعلم أن الرواية نبتة زرعت في الثقافة العربية في القرن التاسع عشر وهذه القضية أصبحت مُسلمة أكاديمية، وأنا كنت ضحيتها كغيري، ودرستها في الجامعة لمدة 8 سنوات، ثم تبين لي أن هذه المسلمة لا تثبت أمام أي فحص نقدي، وهي أكذوبة لا يُمكن البرهان على صحتها.

ولهذا عندما ذهبت الى ثقافة القرن التاسع عشر منذ حوالي عشر سنوات، تبين لي أن هناك حقائق طمست ولم يجر الاهتمام بها، فالرواية العربية عرفت قبل أي ترجمة من الترجمات العربية للرواية الغربية، والرواية العربية أول ما ظهرت في بلاد الشام، ولدينا ما لا يقل عن مئة رواية عربية سبقت رواية «زينب» التي صدرت سنة 1913.

أبدأ بأول رواية لخليل الخوري وعنوانها «وي: اذا أنا لست بافرنجي» وقد صدرت سنة 1859، ثم فرنسيس مراش الحلبي الذي كتب رواية «غابة الحق» سنة 1865 وقد طبعت ست مرات، ثم نأتي الى أسرة البستاني الذين نشروا سلسلة من الروايات، كما ظهر عدد من المجلات المختصة بنشر روايات مسلسلة على حلقات.

وعموما في «موسوعة السرد» التي خصصت لها عشرين سنة من عمري، تجد مسارد كاملة لهذه الروايات، وأماكن نشرها، وحتى النقود التي كتبت فيها، ولهذا أفترض اعادة النظر بالمقولات والمسلمات السابقة، لأن الأخذ بها دون تدقيق يُلحق الضرر بثقافتنا.

المسألة الثانية أن القول بتطور الرواية العربية عن المرويات السردية العربية (ألف ليلة وليلة ـ المقامات ـ السير الشعبية...). خطأ لا يقل عن الخطأ الأول القائل بجذرها الغربي. فكيف نشأت الرواية العربية اذا؟

وجهة نظري القائمة على استقراء ثقافة القرن التاسع عشر، تفيد بانهيار كامل الأنواع السرديات القديمة، في بداية ذلك القرن. وظهور مادة سردية ضخمة لا تخضع لأي نوع من السرديات القديمة، ومع بدء عملية التحديث، جرت اعادة تحديث لهذه المادة أو الرصيد السردي، ومنها ظهر النوع الروائي الجديد.

بعد ذلك ظهر المؤثر الغربي، ومن الطبيعي أنه مؤثر مهم ولا يُمكن تجاهله، وقد أفادت منه الرواية العربية أيما افادة، ولهذا افترض قبل الاقدام على تفسير الرواية أن نقوم بتفكيك الخطاب الاستعماري الذي رسم لنا ليس نشأة الرواية فقط، وانما نشأة الشعر الحديث ونشأة الأدب المسرحي والنقد وكل شيء.

■ ألا تؤثر هذه الحفريات السردية في القول الشائع بأن الشعر ديوان العرب؟

■ بالطبع، فهذا القول لا يقل خطأ عن المسلمات السابقة حول اصل الرواية، لأننا أمة سرد قبل أن نكون أمة شعر، ولو تساءلنا ما معنى القول بأن الشعر ديوان العرب؟ سنكتشف أن المقصود به اقرارا بأن الشعر قام بتمثيل الذاكرة العربية، ونحن عندما نريد استعادة ذلك التاريخ فأفضل ما لدينا هو السجل الشعري، وهذا القول يطعن بصحة أمرين:

أولا: الشعر لا يُصبح شعرا اذا تحول الى سجل أو ديوان، لأن الشعر رؤية فردية، تأملية، تعنى بجماليات الخطاب أكثر مما تعنى بتدوين الحقائق وتمثلها، ولا ننسى الرأي القائل بأن أجمل الشعر أكذبه.

ثانيا: ان كل من يتوغل في الأدب العربي القديم سيكتشف وجود قارة غير معروفة في ثقافتنا هي قارة السرد، وهي كما يقول «الرقاشي»، ويورد ذلك «الجاحظ» في كتابه «البيان والتبيين»: «ان للعرب نثرا عشرة أمثال ما لديهم من الشعر، لكنهم أضاعوا تسعة أعشار نثرهم، وحافظوا على تسعة أعشار شعرهم».

وقد جرى الاهتمام بالشعر العربي فيما غيب النثر أيضا لسببين:

أولا: لأن للشعر أوزاناً وقوافي، وهي اشارات تسهل حفظ الشعر أكثر من النثر، لأن له وسيلة استذكار، فيما غابت وسيلة استذكار النثر.

ثانيا: المرويات السردية الحقيقية بدءا من العصر الجاهلي وحتى أوائل القرن التاسع عشر هي مرويات لا تخضع لشروط الكتابة البلاغية التي شاعت في القرون الوسطى، اذ أنها أساليب مباشرة، شعبية، حارة، رافضة ومتمردة على قواعد البلاغة.

ولهذا نجد أن الثقافة العربية الرسمية لا تعترف بهذه المرويات، بل تعتبرها مرويات مخربة لا ينبغي الاحتفاظ بها، فنجد «ابن كثير» مثلا لا يوجه اللوم الى سيرة عنترة، بل يُكفر حتى من استمع اليها، ويقول «ابن النديم» عن كتاب «ألف ليلة وليلة» قرأت هذا الكتاب بتمامه على أخي «الشافعي»، ووجدته كتابا باردا غث الحديث.

هذا يعني أن هذه الكتابات المكتوبة بلغة مُغايرة لما هو شائع في البلاغة العربية استبعدت من الثقافة الرسمية، وحين نستبعد كتابا بأهمية «ألف ليلة وليلة» خلال ألف سنة، اذ لا نجد له ذاكرة الا ثلاث مرات، ذكر مرتين بصيغة لا تتجاوز خمسة أو ستة أسطر، وذكر مرة واحدة بكلمة فقط، ذكر عند «المسعودي» حين تحدث عن أصوله الفارسية، وذكر عند «ابن نديم» في «الفهرست» كما أشرت. ثم أشار له «أبو حيان التوحيدي» بكلمة واحدة فقط، قائلا: هذا شيء يُشبه «ألف ليلة وليلة».

كتاب عظيم مثل «ألف ليلة وليلة» لم يُشر اليه خلال ألف عام الا ثلاث اشارات عابرة فقط!! هذا يدل أن هذا النمط من الأدب لم يكن مقبولا. بل كان النمط المتصنع هو المقبول، النمط المتكلف، حيث يجلس «الحريري» أو «بديع الزمان الهمذاني» أو «الجزري» أو «أبو حيان التوحيدي» أو «ابن العميد» ويتبارون في مجاراة شروط الصنعة، وليس شروط التعبير، لم يكن مهما أن تعبر عما تريد، المهم أن تتمثل القواعد البلاغية.

ولهذا أجد أن المرويات السردية غيبت عن الذاكرة الرسمية العربية القديمة، لأنها كانت تتمرد على السائد، بل أزعم أنها كانت تقدم هجاء مُضمرا لهذا السائد، حيث الأبطال شبقون، والنساء خائنات، والرجال غارقون في المتع، والسياسيون والملوك والأمراء محط استهزاء، هذه الثقافة تعيد انتاج الواقع بطريقة تهكمية، واذا ذهبنا الى رأي «باختين» واستعنا به في هذا المجال، نقول أن هذه الثقافات هي ثقافات كرنفالية غوغائية، لا توفر المقدس بل تحط من شأنه ضمنا وعلنا.

■ في مداخلتك على الرواية السورية تميز بين كتابة النساء والكتابة النسوية؟

■ نعم هو التمييز بين كتابة الأنثى والكتابة الأنثوية أيضا، وتاريخ الأدب العربي الحديث يعرف كتابة المرأة أو كتابة النساء منذ بدايات القرن التاسع عشر، منذ «لبيبة هاشم» وأخريات. بينما الكتابة النسوية لم تظهر الا في ربع القرن الأخير، وهي الكتابة التي تعنى بصوغ هوية الأنثى، ولا تعنى بالعالم السردي المتنوع بقضاياه الاجتماعية والسياسية، ففي الكتابة النسوية يكون المركز الأساسي للعمل هو الأنثى باعتبارها ضحية للنظام الأبوي الذكوري، بمعنى ما نجد هذه الرواية تحاول اعادة تشكيل وصياغة هوية أنثوية. وهي ظاهرة قيد التشكل، ربما توجد الآن خمسون رواية أو أكثر في هذا الاتجاه، لكنه من الواضح لي أننا ازاء ظاهرة جديدة، وعلى النقد أن يعمل على تحليلها، أن يستنطقها، لا أن يكون معها أو ضدها.

الملاحظة الأساسية أن هذه الروايات تضع نفسها بالتعارض مع الكتابة الذكورية، وكأن الهوية الأنثوية هي نقيض الهوية الذكورية، أو هي رد على سلطة الثقافة الذكورية في مجتمعنا، فيما أجد أن الهوية الأنثوية يجب أن تكون مختلفة عن الهوية الذكورية وليست نقيضا لها.

■ في هذا السياق نلاحظ تمرد الكتابة النسوية عموما على المحرمات الثلاث؟

■ لأن ثلاثية التحريم (الجنس ـ الدين ـ السياسية) جاءت من اجل دعم الثقافة الذكورية، حيث الدين هو السائد أو الداعم لهذه الثقافة، ثم السياسية وهي ممارسة ذكورية، وأخيرا الجنس حيث تكون المرأة متعة وليست شريكا.

لذلك أجد أن هذه الظاهرة تشمل المنطقة من المغرب وحتى ايران، منطقة تتصف بالمحافظة عموما، وأعتقد أننا مع ظهور هذا النمط من الرواية نكون قد انتقلنا الى مرحلة بذر الشكوك في ثقافة لم تعد تفي حقوق أفرادها.

ولعل المرأة هي الأكثر قدرة على التحسس من هذه القضية كونها الضحية المباشرة لثقافة تستأصل وجودها الأنثوي وكيانها الانساني ودورها الاجتماعي والحياتي، وتدرجها من شريكة لتابعة. لذلك نجد المرأة الآن تتحرك وهي تحمل رعود ونذور التحدي لتلك الثقافة الذكورية التقليدية أو المحافظة بآن معا.

لكن الخطر في هذه الظاهرة أنها تضع نفسها بالتعارض مع الرجل في حين ينبغي لها أن تبحث عن مساحات للتشارك معه.

عبد الله ابراهيم

أورهان باموق يرى أنه لا حل للعرب سوى الديمقراطية ويقول:

أكتب من ثماني الى عشر ساعات يوميا منذ 33 عاما ومع ذلك فأنا مُقل!

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

في يوميه الأول والثاني تتوالى حشود الندوات على معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته التاسعة والثلاثين، وجريا على العادة السنوية، بدت الكثرة الكاثرة من الندوات بلا حضور رغم الضجيج الواسع للجمهور والحضور الذي يأتي من كل حدب وصوب، ولا ترى طرقات ومماشي المعرض خالية من الزحام في أي وقت من الأوقات.

وقد شهد المعرض في يوميه الأول والثاني عددا من الندوات ذات الصبغة السياسية، وكذلك انطلاق المؤتمر الصحافي لزيارة الروائي التركي «أورهان باموق» الحاصل على جائزة نوبل للآداب في العام الماضي.

وقد رفض باموق في المؤتمر عددا من الأسئلة حول صراع الحضارات بصفة عامة، وحوار الحضارات في أدبه، وقال ان ما يكتبه يمت بصلة للقصة فحسب لكنه بالمعنى الفكري والسياسي لا يعتقد بصواب ما ذهب اليه صمويل هنتنغتون في هذا السياق، ويؤكد باموق أن الصراع الحضاري فكرة مخترعة من الأمريكان، وأن تصديقها أدى الى وقوع ضحايا لا حصر لهم من البشر.

وقال باموق «ان هذا الصراع مجرد أكذوبة تهدف الى تصوير المجتمعات الاسلامية على أنها تهديد للثقافة الغربية، لكن الثقافة والحضارة الغربية عليها أن تعيد النظر الى الحضارة والثقافة الاسلاميتين». وأضاف أنه ينبغي على الدول الاسلامية أن تسعى الى تحسين أوضاعها السياسية والثقافية والاقتصادية لأن المشكلة الكبرى للثقافة الاسلامية ـ التي يتشرف بالانتماء اليها ـ هي ضرورة تحقيق الديمقراطية، وأكد باموق أنه ليس لديه موقف من الخلافة التي حاول البعض اثارتها في فترة من الفترات، ونفى عن نفسه أن يكون روائيا سياسيا.

وسوف نحاول هنا أن نرصد أهم مظاهر معرض الكتاب وما وعدت به البرامج المعلنة رسميا وما ينتظرنا في الأيام القادمة للمعرض.

ضيف الشرف ايطالي والنشاط لا ينفد

تأتي مشاركة ايطاليا هذا العام كضيف شرف ثان بعد ألمانيا، عقب انطلاق هذا التقليد منذ العام الماضي، ويتعامل الايطاليون مع المعرض باعتباره أهم معارض العالم العربي وأكثرها شعبية وجماهيرية رغم سلبياته المتعددة والمستعصية على العلاج، وقد خصص المعرض مكانين للعروض الايطالية الأول للعرض والثاني للبيع حيث يتم عرض وبيع كتب لنحو 40 دار نشر ايطالية وكذلك لبيع المتاح من الكتب المترجمة باللغة العربية، ويشارك العديد من المؤلفين الايطاليين في سلسلة من الموائد المستديرة التي تركز على عدد من القضايا الثقافية المؤثرة.

وكان بين أهم المفاجآت التي ستقدمها ايطاليا اعلان جائزة البحر المتوسط من القاهرة، وهي جائزة جديدة انبثقت من جائزة المتوسط التي أنشأتها عام 1997 مؤسسة المتوسط وتتعلق بمجالات مختلفة مثل السلام والثقافة الدبلوماسية، المؤسسات، العمارة، الفن والابداع، وتنطلق الجائزة خلال معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الحالية.

ويبدو أن محور اشكالية العلاقة بين الاسلام والغرب سيكون المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم ندوات الجناح الايطالي، ويحتفي المعرض لذلك بكتاب الايطالي «ميكيلي كاباسو» رئيس المنظمة المتوسطية عن العلاقة بين أوروبا والاسلام، الذي يرى أن المجتمعات المسلحة في الشرق الأوسط والشرق الأقصى تتعامل مع الديناميكية الغربية التي يسميها «العولمة» من خلال رد فعل عدائي للغاية وغالبا عنيف، ويقول ميكيلي: ان الاسلام هو القاسم المشترك الذي نستخدمه لتمثيل كل العالم الاسلامي على الرغم من تنوعه، فهو يرى أن تصنيف الوعي تجمع فيه المخيلة التاريخية الغربية التي تطورت عبر القرون، وأن هناك عدة معتقدات لا واعية مفهومة ضمنيا، ويشير هذا المصطلح الى مجتمع تحكمه دولة مستبدة، وتنظم حياته المدنية قوانين دينية من تعاليم القرآن، لكن الحداثة تشكل أيضا قاسما مشتركا، مشيرة الى مجتمع يرتكز على القانون البشري وليس الالهي، على المساواة القانونية والمساواة في الوصول الى مناصب التمثيل السياسي. بالضبط كما هو الاسلام تمثيل ساكن لواقع متعدد ومتحرك، كذلك الحداثة هي تجريد ساكن لواقع متنوع ومتشكل لذلك لا تتماثل الحداثة مع الغرب ومع أوروبا اليوم.

وهذا هو ما يراه ميكيلي مشروعا لمجتمع ولد في أوروبا في عصر الأنوار وتطور خلال فترة الفلسفة الوضعية، ومصادرة القاعدية ضرورة لتعقيدات الحياة الحديثة، التي لا تستطيع التأقلم مع هياكل كانت ملائمة لأسلوب الحياة في الماضي، ويضيف ميكيلي أنه اذا كان على العالم الاسلامي مواجهة المشاكل النابعة من غياب الحداثة بمفهومها كتوكيد للحق الفردي والديمقراطية يعاني الغرب من افراط في الحداثة المتمثل في السرعة والعقلانية وغياب التضامن، وفوضوية السياقات الجماعية، وهي المشاكل الجديدة لمجتمع يرصد ميكيلي ملامحه.

كاتب وكتاب والصراع الحضاري

على مستوى آخر رصدت الهيئة عددا من الكتب المهمة لمناقشتها في محور «كاتب وكتاب»، معظمها يدور حول الحوار الثقافي والراديكالية الاسلامية، فسوف تتم مناقشة كتاب «فوبيا الاسلام في الغرب» لسعيد اللاوندي، ويناقشه وليد عبدالناصر ومحمد عثمان الخشت وهو كتاب يتناول فكرة أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا، ويرى الكاتب أننا لا بد أن نعيد النظر في تلك المقولة فالانسان شريك في انتاج الحضارة في كل مكان على وجه الأرض.

يرصد اللاوندي في كتابه حالة تضييق الخناق على الجاليات الاسلامية في أوروبا والتي يراها نشأت نتيجة حالة القوانين التي استحدثت أخيرا في البلدان الأوروبية لتنظيم اقامة المسلمين والتي تضع القيود على الممارسة الدينية، فالخوف من الاسلام والمسلمين أو كما يقول عنوان الكتاب «اسلامو فوبيا» فقد أصبح أمرا واضحا وجليا نتيجة المحاولات الصهيونية لتصوير الاسلام كأنه سرطان في الجسد الأوروبي وأن ذلك قد يدفع أوروبا الى حافة الهاوية وأيضا يرصد فكرة صدام الحضارات التي يلوكها الاعلام الأوروبي وكذلك السلبية التي يعيش فيها مسلمو أوروبا.

كذلك يناقش المحور كتاب «معارك نقدية» للدكتور مجدي يوسف ويناقشه الدكتور عبدالوهاب المسيري ومحمد رؤوف حامد ومجدي عبدالحافظ، وكذلك كتاب الحوار الثقافي للدكتور عبدالله التطاوي وكذلك الكتاب التذكاري الذي أصدره الأهرام في الذكرى المئة والثلاثين لانشائه.

في الوقت نفسه خصص المعرض ندوة للشهادات للفائزين بجوائز الدولة وسوف يتحدث في هذا المحور الدكتور محمد حمدي ابراهيم الحاصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب وأحمد أمين حمرة أستاذ الفيزياء الحاصل على جائزة تقديرية في العلوم، كما تحدث الدكتور والفنان التشكيلي فاروق شحاتة، وهو واحد من أساتذة الحفر الرواد في مصر، ويتميز بشكل خاص في فن الحفر بنظام الطباعة الغائرة والزنكية وينتمي فاروق شحاتة للمدرسة التعبيرية والاجتماعية التي تأثرت بالفكر الاشتراكي وقد تفوق فاروق شحاتة في معالجة المساحة الطباعية الصباغية السوداء وجعلها ذات حضور طاغ في طباعته الغرافيكية، وتنحو أعمال فاروق شحاتة الى الوظيفية فقد أنتج أعمالا لافتة ومهمة مثل الضحية والأمومة والأم الفلسطينية.

في الوقت نفسه احتفت سلسلة الجوائز بالهيئة العامة للكتاب بأورهان باموق وأصدرت ترجمة لروايته «الحياة الجديدة» بترجمة لسها سامح حسن ومراجعة الدكتورة أماني توما وتقديم عبدالمقصود عبدالكريم، كذلك أصدرت السلسلة نفسها ترجمة لرواية «الفسكونت المشطور» لايتالو كالفينو، قامت بالترجمة الدكتورة أماني فوزي حبشي وراجعها الدكتور محب سعد. كالفينو واحد من أشهر الكتاب الايطاليين في القرن العشرين وقد ولد عام 1932 ورحل عن عالمنا عام 1988 وقضى فترة شبابه في مدينة سان ريمو بشمال ايطاليا اثناء اشتراكه في حرب تحرير ايطاليا وعمليات المقاومة ضد الفاشية والنازية، وتُعد الرواية عن انسان القرن العشرين في حال استلابه أمام سطوة الحضارة وحروب المدينة الجديدة.

أما أحد الاصدارات القصصية فسوف يتم مناقشة جانب منها في مخيم رقم 2، وهو المنعقد تحت مسمى «ملتقى القصة القصيرة» وتشرف عليه الكاتبة سهير المصادفة، حيث يبدأ الملتقى بمناقشة مجموعة «أحب نورا أكره نورهان» لعزة رشاد وتناقشها الدكتورة أنس الوجود، عفاف عبدالمعطي، ومحمد حافظ دياب، كذلك يناقش الملتقى مجموعة «صندوق الدنيا» للكاتب محمد عبدالرحمن المر ويشارك في المناقشة أشرف أبو جليل، فريدة النقاش، وفتحية العسال. أيضا تتم مناقشة مجموعة «حكايات المشاوير» لخالد الخميس والتي يناقشها جلال أمين، سمية رمضان، وعبدالوهاب المسيري، أيضا تتم مناقشة مجموعة للدكتور عبدالغفار مكاوي يناقشها الدكتور حامد أبو أحمد، محمود عبدالوهاب، ومحمد أحمد حمد. وكذلك مجموعة «الراقصة» للاذاعي والمترجم شوقي فهيم، ويناقشها محمد بدوي وعبدالعزيز موافي، وشعبان يوسف، ومناقشة مجموعة «قراءات لرأس قديم» للقاص محمد جراح ويناقشها حسام عقل، زينب العسال وفؤاد قنديل، كذلك يكرس الملتقى جلسة لمناقشة السيرة الذاتية للشاعر الراحل أسامة الدناصوري الصادرة عن دار ميريت تحت عنوان «كلبي الحبيب، كلبي الهرم» ويناقشها الشاعر ابراهيم داود، حمدي أبو جليل، علاء خالد، وكذلك مجموعة «مصري والحمار» لجمال زكي مقار ويناقشها شعبان يوسف وصلاح السروي وهيثم الحاج علي، كذلك يناقش ملتقى القصة مجموعة «كرسي أزرق في نهاية البهو» لأسماء ياسين ويناقشها آمال الديب، أسامة عرابي، والدكتور يسري العزب، وكذلك مجموعة «بيان القرم» لسيناء صليحة ويناقشها الدكتور صلاح قنصوة وعبدالحكم العلامي وفوزية مهران، وكذلك مجموعات «لاءات» لأسامة قرمان، و«القفز فوق السحاب» لحسن الغمري و«من خبر الهناء والشفاء» لسلوى بكر.

محفوظ وباموق

الى جانب المؤتمر الصحافي الذي عقدته الهيئة العامة للكتاب للتركي أورهان باموق، تم عقد أول لقاء للكاتب مع جمهور المعرض، حيث قدمه الدكتور ناصر الأنصاري بمقدمة ضافية مرحبة وأشار فيها الى قيام هيئة الكتاب بطباعة ثلاثة روايات لباموق هي «اسطنبول»، القلعة البيضاء، والحياة الجديدة.

بعد ذلك تحدث الدكتور حسين حمودة وقال: ان باموق قدم بكتاباته خروجا على معايير الزمن والانتشار، حيث يقوم عالمه على انشطار الروح بين الاسلام والعلمانية والقدم والحداثة بين الثقافة الاسلامية والمسيحية.

أما باموق فقد تحدث عن حنينه الى زيارة العالم العربي لا سيما مصر وقال ان هذه الزيارة التي تأتي في الخامسة والخمسين متأخرة بكل المقاييس، وتحدث عن جانب من سيرته الذاتية مشيرا الى أنه بدأ كتابة الرواية منذ ثمانية وعشرين عاما وأشار الى أن شعبيته في اللغة العربية تأتي من خلال العوامل المشتركة في الثقافة والعادات بين الشعوب، وقال: عندما كنت أسير في الشارع أدركت انني كنت قريبا من هذه الثقافة وهذا شعور مختلف عما كنت أشعر به من قبل، لأننا نعيش على هامش الثقافة الغربية لأننا لا ننتمي اليها.

وحول نجيب محفوظ قال باموق: «ان محفوظ روائي واقعي مثل بلزاك لكنني أهتم بطريقته وأسلوبه في الكتابة، لذلك يمكن أن يكون نجيب محفوظ آخر هؤلاء الروائيين الواقعيين، وأضاف: انني لا أكتب وهناك مخاوف في ذاكرتي، لأن ذلك قد يؤثر على الكاتب، وأعتقد أن الكتابة التاريخية قد يحدث فيها هذا النوع من الخوف، وربما لم أعبر عن نفسي بشكل جيد عندما تحدثت عن اللغة ولا أطلب من كل انسان أن يعرف التركية ولا أن يتحدث الأتراك العربية لكن للأسف لم أجد الا ناشرا واحدا يترجم أعمالي الى الانكليزية.

وقال باموق: أنا أعتبر نفسي كاتبا بطيئا ولكني متأثر وأعمل بجدية دون توقف، فقد أمضيت 33 سنة في الكتابة يوميا بهذا الشكل وكانت النتيجة النهائية في حدود 180 صفحة في السنة.

وأضاف باموق: الكتابة بالنسبة لي ليست فقط أن أروي قصصا، انما أحاول أن آتي بجديد بأسلوب للكتابة يطرح القصة والشخصيات والحبكة وايجاد الجديد وهو الأمل، ورغم أني أعتبر كاتبا تجريبيا الا أنني وجدت قبولا من القراء، حيث كنت من الكتاب المحظوظين الذين استطاعوا الوصول للقراء بسهولة.

ولعل الدافع الأول ليس التعبير عن المجتمع وانما عن نفسي، ولذا فأنا أبدأ بأن أعبر عن نفسي وذاتي ومن خلال ذلك التعبير يجد القارئ أني أعبر عنه وينتهي الأمر بأن بعض الناس قد تجد أنني ربما أعبر عن مجتمع بأسره.

وأضاف باموق: رغم أنني بدأت بداية غير سياسية فيما عدا كتاب واحد يعرض لهذه القضايا وترجم للعربية، كتاب «ثلوج» وتقع أحداثه في مدينة صغيرة بتركيا.

واختتم باموق حديثه بالقول: لقد قضيت الجزء الأكبر من حياتي في مهنة الكتابة التي تصل الى ما بين 320 الى 360 يوما في السنة وأنا أكتب بشكل متصل وطويل حيث أمضي بين 8 الى عشر ساعات في الكتابة لدرجة أصبحت فيها المنضدة امتدادا لأصابعي، وقد تعودت على ذلك في تركيا اذ كنت أكتب مثل الموظفين والكتبة.

أورهان باموق

لؤلؤة الفتنة

طارق الكرمي *

منذُ اللّه .. ونحنُ نقولُ " لغزّة " لصٍّ يحميها .. هلْ سنقولُ " لغزّة " ربٌ يَحميها .. صَبغتنا دُولٌ ماكانتْ الاّ أوكاراً حتى أصبحنا لعبتها وأولي ضَبٍّ .. للخائنِ أنْ يبلغَ كُرسيَّ خلافته اليوم .. وللخائنِ أنْ يَستأثي ببيعتهُ الصّفويّة .. هلْ سنقولُ البحرُ هنا غزيٌ .. والبرُ لنا عزيٌ .. لكنْ " غزّة " ما عادتْ بينهما مَهبط " هاشم " .. لنْ تغدو الاّ شعباً للمغدورينَ فَ " غزّة " .. يا " غزّة " يا " غزّة " يا موئل أسباط منْ كل تصانيف الوطنيينَ .. مليشيات بُداة السّطو .. كتائب رَبِّ غزيٍ مغدور .. وسرايا الجوع .. ضباع البرِّ .. قراصنة يبصُقها البحرُ .. ويا فتنة لؤلؤة .. يا لؤلؤةً الفتنة

ما كنا غير كلاب الحرس الثوريِّ تماماً من " فارس " حتى رمل الشاطىء .. ياوكراً للأسباط المُقتتلينَ برابرةً منْ سبطَ " عليٍّ " منْ سبطَ " معاوية " .. فلمن نتشيعُ قلْ منْ سنبايعُ .. سبطُ الخائنِ منْ لا سبطَ لهُ .. نحنُ البواقونَ ولاةُ أحابيل .. للفاتح " غزّة " هذي الليلةَ فخذي عاهرةٍ .. نحنُ قراصنةٌ عميانٌ سنقيمُ تراتيلَ نشيدِ البحرِ .. نشيدَ دمٍ يتلاطمُ .. ليس لنا منْ سفنٍ فَ الغمرِ الأسود حتى المَنْجاة .. وليس لنا منْ سُفنَ تُبحرُ فَ السّموات بنا .. ما ظلَّ لنا مركب ريحٍ يَسلمُ فَ الريحِ ولا فَ الليلِ ق